جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم

الدكتور مسعود بودوخة

جامعة سطيف ـــ الجزائر

توطئة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد جهود علماء الأمة وإسهاماتهم في استنباط وتبيان مقاصد القرآن الكريم، وقد سعينا من خلالها إلى رصد جهود هؤلاء العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم قديما وحديثا، و متابعة تطور موضوع البحث في مقاصد القرآن، والوقوف على أهم محطاته التاريخية.

وكانت غايتنا من هذا استخلاص الصورة التي انتهى إليها البحث في مقاصد النص القرآني، واستشراف المعالم التي يمكن أن تقود إلى آفاق جديدة في التعامل مع القرآن الكريم انطلاقا من الفكر المقاصدي.

عناصر الدراسة

1 ـــ مقدمات

1 ـــ 1 معنى المقاصد لغة و اصطلاحا

1ـــ 2 مصطلحات دالة على معنى المقاصد

1 ـــ 3 مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

2 ـــ مقاصد السور ومقاصد القرآن

2 ـــ 1 فخر الدين الرازي

2 ـــ 2 جلال الدين السيوطي

2 ـــ 3 شهاب الدين الألوسي

2 ـــ 4 سيد قطب

3 ـــ تصنيفات العلماء لمقاصد القرآن

3 ـــ 1 مقاصد القرآن عند أبي حامد الغزالي

3 ـــ 2 مقاصد القرآن عند رشيد رضا

3 ـــ 3 مقاصد القرآن عند عبد العظيم الزرقاني

3 ـــ 4 مقاصد القرآن عند محمود شلتوت

3 ـــ 5 مقاصد القرآن عند محمد الطاهر بن عاشور

3 ـــ 6 مقاصد القرآن عند محمد الغزالي

3 ـــ 7 مقاصد القرآن عند محمد الصالح الصديق

3 ــ 8 مقاصد القرآن عند يوسف القرضاوي

3 ــ 9 مقاصد القرآن عند عبد الكريم حامدي

3 ــ 10 مقاصد القرآن عند طه جابر العلواني

4 ــ نتائج وآفاق.

1 ــ مقدمات

1 ــ 1 معنى المقاصد لغة و اصطلاحا

1 ــ 1 ــ 1 المقاصد لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس:"القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأَمّه، والآخر على كسر وانكسار، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا، ومن الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه، قال الأعشى:

فأقصدها سهمي وقد كان قبلها　　　لأمثالها من نسوة الحي قانصا(1)

وفي مختار الصحاح: "القصد : إتيان الشيء، تقول: قصده وقصد له، وقصد إليه، كله بمعنى واحد." (2)

وفي معجم لسان العرب: "...والقَصْدُ: الاعتمادُ والأَمُّ، قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً، وقَصَدَ له، وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ، وهو قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك ...والقَصْدُ إِتيان الشيء، تقول: قَصَدْتُه وقصدْتُ له وقصدْتُ إِليه بمعنى ... وقَصَدْتُ قَصْدَه: نحوت نحوه... قال ابن جني: أَصل « ق ص د » ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، أَلا ترى أَنك تَقْصِدِ الجَوْرَ تارة كما تقصد العدل أُخرى ؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعاً ... (3)

ويمكن أن نخلص من هذه التعريفات إلى أن مادة (قصد) تأخذ معاني كثيرة، ولكن أصل معانيها أمّ الشيء، وإتيانه، والتوجه إليه، وهذا هو المعنى الذي يتصل بمصطلح المقاصد، من حيث إن مقصد الحكم أو القول هو الغاية والحكمة التي يتوجه إليها الحكم، والمعنى الذي يؤم ويراد من القول، وقد يأخذ مقصد القول معنى القضية أو القضايا التي يراد تقريرها بهذا القول.

1 ــ 1 ــ 2 مقاصد القرآن اصطلاحا:

---

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي،ط1، بيروت، 1422هــ/ 2001م، مادة (قصد) .

(2) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1423هــ/ 2003م، مادة (قصد).

(3) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (قصد)

لا نجد عند القدماء تعريفا لمقاصد القرآن، وإنما وردت إشارات متفرقة إليها بين ثنايا المباحث المقاصدية بمعناها التشريعي، كقول العز بن عبد السلام : " ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها."(4)

ولكن بعض العلماء استخدموا مصطلح مقاصد القرآن للدلالة على المحاور الكبرى والقضايا الأساسية التي دارت عليها سوره وآياته.

فمن هؤلاء أبو حامد الغزالي في قوله: "انحصرت مقاصد سور القرآن وآياته في ستة أنواع... "(5)

وقال الرازي: " إن مقاصد القرآن، التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد. (6)

وقال السيوطي في الإتقان: "...ولما كانت سورة الفاتحة هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده ... فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن." (7)

وقال الألوسي: " إن مقاصد القرآن، التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد." (8)

فلفظ المقاصد هنا صريح الدلالة على المحاور والقضايا الأساسية التي تمنها القرآن الكريم.

أما المحدثون فلم يكد اهتمامهم بمقاصد القرآن يستقل عن اهتمامهم بمقاصد الشريعة، وقد تحدث بعضهم عن مقاصد القرآن العامة، ومن بينهم الأستاذ علال الفاسي الذي تحدث عن مقاصد نزول القرآن بقوله: " والقصد العام من نزول القرآن هو هداية الخلق، وإصلاح البشرية، وعمارة الأرض" (9)

وحاول ابن عاشور إجمال مقاصد القرآن الكريم، فذهب إلى أن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية. (10)

وعرّف عبد الكريم حامدي مقاصد القرآن بأنها:" الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد، فالغايات المراد بها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهذه الغايات تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل"(11)

ونلحظ على هذه التعريفات أمرين اثنين:

أولهما: تأثرها بمقاصد الشريعة، ولهذا نجدها تدور على مبدإ تحقيق المصلحة ودفع المفسدة.

---

(4) عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار البيان العربي، ط1، القاهرة، 1421هـ/ 2002م، 10/1

(5) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، 1411هـ، 1990م، ص23

(6) تفسير الفخر الرازي، دار الفكر ، ط1، بيروت، 1401هـ/ 1981م،249/30

(7) جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ، 2004م، ص690

(8) المرجع نفسه،249/30

(9) علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط4، المغرب، 1411هـ/ 1991م، ص88

(10) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،تونس، 1982م، 38/1

(11) عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1429هـ، 2008م، ص29

وثانيهما: تركيزها على المقصد العام للقرآن (الهداية وتحقيق الصلاح)، وعدم التفاتها إلى المقاصد الخاصة التي تعني القضايا والمحاور التي دارت عليها سور القرآن الكريم، وحتى التعريف الأخير لعبد الكريم حامدي ــ وهو الوحيد الذي حاول صياغة تعريف لمقاصد القرآن ــ تناول المقاصد بمعنى الغايات والحكم، لا بمعنى المحاور والقضايا.

والحق أن مصطلح المقاصد يأخذ معاني شتى ويلتبس بمفاهيم ومصطلحات أخرى بحسب السياق الذي يستعمل فيه، فقد يعني:

ــ الأهداف التشريعية والتربوية للشريعة الإسلامية، أو الحِكَم والأسرار التشريعية، أو المصالح (الكليات الخمس) .

ــ المعاني العامة والمحاور الكبرى للقرآن الكريم أو النصوص عامة، ومعنى هذا أن المفهوم الذي تأخذه المقاصد مع الشريعة يختلف عن مفهومها مع القرآن، وعلى الرغم من التقاطعات التي يمكن أن تحدث بينهما فإنهما مختلفان.

وبناء على ما تقدم يمكننا تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنها القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته، تعريفا برسالة الإسلام، وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر.

1 ــ 2 مصطلحات دالة على معنى المقاصد

وقد استخدم بعض العلماء والمفسرين مصطلحات أخرى للدلالة على مقاصد القرآن، وأهم هذه المصطلحات: علوم القرآن، وأقسام القرآن، ومطالب القرآن، وفيما يأتي عرض لبعض السياقات التي استعملت فيها هذه الألفاظ عند أولئك العلماء.

1 ــ 2 ــ 1 علوم القرآن:

استخدم مصطلح العلوم أو علوم القرآن للدلالة على معنى المقاصد،

يقول الرازي: "المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول والفروع والمكاشفات، وقد بينا أن هذه السورة (الفاتحة) مشتملة على تمام الكلام في هذه العلوم الثلاثة."(12)

و جاء في تفسير القرطبي لسورة الفاتحة:"... وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن." (13)، وقال في سبب تسميتها القرآن العظيم:"سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن." (14)

وقال البيضاوي في تفسيره: "...علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار عن المغيبات." (15) فقد أشار البيضاوي بهذا إلى مقاصد القرآن الكبرى وهي العقائد والشرائع والقصص.

ونقل الثعالبي في تفسيره عن ابن العربي قوله:"اعلم أنَّ علومَ القُرآنِ ثلاثةُ أقْسَامٍ: تَوْحِيدٌ ، وتَذْكِيرٌ ، وأَحْكَامٌ ." (16)

---

(12) تفسير الفخر الرازي، 184/1

(13) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1427هـ/ 2006م، 171/1

(14) المرجع نفسه، 173/1

(15) حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، 1411هـ/ 1991م، 3/ 484

وفي البرهان للزركشي:"وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام."(17)

ونقل السيوطي في الإتقان عن بعض العلماء قوله: " أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب." (18)

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة: علم الأصول؛ ومداره على معرفة الله وصفاته، ومعرفة المعاد، وعلم العبادات، وعلم السلوك، وعلم القصص، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن.(19)

1 ـــ 2 ـــ 2 أقسام القرآن:

استخدم أبو حامد الغزالي مصطلح الأقسام في كتابه (جواهر القرآن) و عنى به مقاصد القرآن، فقال بعد أن أورد مقاصد القرآن الستة: " وإن جمعت الأقسام الستة المذكورة مع شعبها المقصودة في سلك واحد ألفيتها عشرة أنواع: ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم، أعني جانبي التزكية والتحلية، وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار، وذكر حدود الأحكام." (20)

وقال عن سورة الفاتحة: "وقد اشتملت الفاتحة من الأقسام العشرة على ثمانية أقسام."(21)

وقال في موضع آخر من كتابه (الجواهر): "الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمات القرآن هي: معرفة الله تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم." (22)

وقد استخدم بعض العلماء ـــ بعد الغزالي ـــ مصطلح أقسام القرآن ولكنه ورد عندهم للدلالة على ما يمكن أن نسميه أساليب الخطاب القرآني، كالقرطبي الذي قال في تفسير السبع المثاني: "وقيل: المراد بالسبع المثانى أقسام القرآن من الأمر والنهى والتبشير والإنذار وضرب الأمثال وتعديد نعم وأنباء قرون." (23)

فعلى الرغم من تطابق عدد ما ذكره القرطبي من الأقسام مع عدد السبع المثاني فإن تلك الأساليب لا تنحصر بالضرورة في السبعة المذكورة، ويمكن أن نستنبط منها ثلاثة من المقاصد على الأقل؛ فالأمر والنهي يدلان على مقصد التشريع، والتبشير والإنذار إشارة إلى المعاد، وأنباء القرون هي القصص.

1 ـــ 2 ـــ 3 مطالب القرآن:

---

(16) الثعالبي عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1418هـ/ 1997م، 300/2

(17) الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م، ص17/1

(18) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ص690

(19) المرجع نفسه، ص690

(20) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص34

(21) المرجع نفسه، ص70

(22) المرجع نفسه، ص78

(23) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 252/12

وقد استخدم بعض العلماء هذا المصطلح للدلالة على مقاصد القرآن، فقال فخر الدين الرازي:" المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول والفروع والمكاشفات، وقد بينا أن هذه السورة (الفاتحة) مشتملة على تمام الكلام في هذه العلوم الثلاثة، فلما كانت هذه المطالب العالية الشريفة حاصلة فيها لا جرم كانت كالمشتملة على جميع المطالب الإلهية."(24)

وقال الإمام البقاعي في تفسيره لسورة الأعراف: "... لمّا بين التوحيد والنبوة والقضاء والقدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب الأربعة التي هي أمهات مطالب القرآن ". (25)

وهكذا فإن هذه المصطلحات الثلاثة (علوم القرآن، وأقسام القرآن، ومطالب القرآن) استخدمت من قبل بعض العلماء في معنى يقارب أو يطابق معنى مصطلح مقاصد القرآن، ولكننا نرى أن مصطلح المقاصد أولاها بالاستعمال وأوفاها بالغرض، ذلك أن المصطلحات الأخرى استقل أحدها وهو مصطلح علوم القرآن بمعان كلية، فأصبح يعني عامة المباحث المتصلة بالقرآن، ومصطلح أقسام القرآن عام الدلالة على أي تقسيم للقرآن الكريم، كتقسيمه إلى مكي ومدني، ومحكم ومتشابه، وغيرها من التقسيمات، أما مصطلح المطالب فلم يشع استخدامه شيوع مصطلح المقاصد، وليست له دلالته، ومن ثمة فضلنا استخدام لفظ المقاصد لدلالته على الغرض، ولشيوع استعماله عند القدماء والمحدثين على السواء.

1 ــ 3 مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

لقد نال البحث في مقاصد الشريعة أضعاف ما ناله البحث في مقاصد القرآن، على الرغم من أن الإمام الغزالي الذي فتح باب التأليف في مقاصد الشريعة، قد كتب أيضا في مقاصد القرآن منذ ذلك الوقت. (26) ولكن موضوع مقاصد القرآن لم يلق الاهتمام الكافي من قبل بعض الباحثين، حيث نجد التركيز على المقاصد بمنحاها التشريعي، حتى كاد مفهوم المقاصد يلتبس بمفهوم المصالح.

وقد تعرض الإمام الغزالي إلى بعض ما يتعلق بأصل المقاصد الشرعية، وأوضح ضرورة رعاية المقاصد وربط الأحكام بها عند النظر الفقهي، كما اشتمل كتابه (إحياء علوم الدين) على ذكر كثير من الحكم والعلل التي تتعلق بها الأحكام. (27)

وبنى المتأخرون كالعز بن عبد السلام والشاطبي مباحثهم في المقاصد على ما ذكره الغزالي، (28)

---

(24) تفسير الفخر الرازي،184/1

(25) البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، (دت)، 185/8

(26) وذلك في كتابه (جواهر القرآن)

(27) ينظر :يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1415هـ، 1994، ص5، وسنتناول ما كتبه الغزالي في مقاصد القرآن في مبحث خاص ضمن هذه الدراسة.

(28) المرجع نفسه، ص5

وفي العصر الحديث عاد الاهتمام بالمقاصد فألف فيها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)، وكتب الأستاذ علال الفاسي في الموضوع (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، وجملة من المقالات للدفاع عن الشريعة وبيان أنها تدور على مصالح العباد، ثم توالى التأليف في الموضوع من قبل العلماء والباحثين... (29)

وهكذا كان البحث في مقاصد الشريعة هو الذي هيمن على البحث المقاصدي، تعريفا وتقسيما وبحثا.

ومن تقسيمات العلماء للمقاصد تقسيمهم لها بحسب قطعيتها أو ظنيتها إلى مقاصد قطعية وظنية ووهمية. (30)

كما قسموها إلى كلية وبعضية؛ فالمقاصد الكلية هي التي تعود على عموم الأمة كافة، أو أغلبها، والمقاصد البعضية هي العائدة على بعض الناس بالنفع والخير. (31)

وقسموها باعتبار الأصالة والتبعية إلى مقاصد أصلية ومقاصد تابعة؛ المقاصد الأصلية وهي التي ليس فيها حظ للمكلف، ومثالها: أمور التعبد غالبا، والمقاصد التابعة وهي التي فيها حظ للمكلف، ومثالها الزواج والبيع. (32)، فالتقسيمات السابقة للمقاصد متعلقة كلها بمقاصد الشريعة، حتى غدا لفظ المقاصد إذا أطلق دل على مقاصد الشريعة دون غيرها.

وعلى الرغم من وجود بعض التقاطعات والمساحات المشتركة بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن، وكون القرآن الكريم هو كتاب الشريعة ومصدرها الأول، (33) فإننا ملزمون من الناحية العلمية والمنهجية بالتفريق بين النوعين؛ فمقاصد القرآن من حيث المفهوم والمجال ليست منحصرة في المقاصد الشرعية (بمعناها التشريعي الفقهي)، وتختلف عنها؛ فإذا كانت مقاصد الشريعة عند العلماء هي "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، كحفظ النظام، وجلب المصالح، ودرء المفاسد، وإقامة المساواة بين الناس، وجعل الشريعة مهابة مطاعة نافذة، وجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال..." (34)، وأنها "الغاية من الشريعة، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (35) فإن مقاصد القرآن تعني المحاور الكبرى والقضايا العامة التي جاء القرآن الكريم لتقريرها، وبذلك تغدو مقاصد الشريعة جزءا من مقاصد القرآن، إذ التشريع والأحكام جزء من القرآن الكريم وليست كل القرآن، ولا يمكن حصر الكلي في الجزئي.

وهكذا فإنه ينبغي أن نفرق بين مفهومين للمقاصد: المقاصد بمعنى الحكم والأسرار، وهو مجال المقاصد الشرعية، والمقاصد بمعنى المحاور والقضايا العامة، وهو مجال مقاصد القرآن.

وإذا قصرنا الشريعة على الأحكام ــ وفق المفهوم الذي تقابل به العقيدة ــ فإنها تغدوا مقصدا واحدا من مقاصد القرآن؛ هو مقصد التشريع.

---

(29) المرجع نفسه، ص6

(30) نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ، مكتبة العبيكان، ط1، 1421هــ، 2001م، ص 73

(31) المرجع نفسه، ص 74

(32) المرجع نفسه، ص 74

(33) عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ص31 ــ 34

(34) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1412هــ، 1992م، ص14

(35) المرجع نفسه، ص14

وإذا كان أكثر الباحثين يمزجون مقاصد القرآن بمقاصد الشريعة من منطلق كون القرآن الكريم هو مصدر الشريعة الأول، فإن المنهج العلمي يقتضي منا التفريق بين مقصد القول (معناه وموضوعه)، ومقصد الحكم (سره وحكمته وعلته والمصلحة المتوخاة منه)، ولا شك أن مقصد الحكم متضمن في مقصد القول بالنسبة إلى القرآن الكريم، إذ الخطاب القرآني ليس كله أحكاما شرعية (بالمعنى الفقهي)، ودليل ذلك أن آيات الأحكام معدودة ومحددة.

ولا شك أن لمعرفة مقاصد القرآن أهمية كبيرة في التفسير، ذلك أن توجيه المعنى أو الترجيح بين الدلالات المختلفة، أو استنباط الأحكام والأبعاد المختلفة للنص يعتمد على الإلمام بالمقاصد العامة من قبل المفسر، وما المعاني والدلالات التي تواجه المفسر أو المستنبط إلا تفرعات عن أصول تُمثلها المقاصد.

وقد أدرك كثير من العلماء هذه الحقيقة وألحوا على لزوم الإلمام بالمقاصد بالنسبة إلى المفسر، فهذا الإمام الشاطبي يعد الاهتمام بمقاصد القرآن أساس التدبر والاستنباط، حيث قال في سياق الرد على من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا: "...وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف ألبتة... فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر."(36)

وقد رسخ هذا الأمر في الفكر الإسلامي الحديث الذي يعمل كثير من المشتغلين به على بعث الاهتمام بمقاصد القرآن سعيا إلى النهوض بالأمة على أساس متين ومنهج سليم، "بحيث يكون القرآن الكريم ومقاصده ومفاهيمه الأساسية المحكمة هي الحَكَمُ في قبول ما سوى القرآن الكريم من النصوص والاجتهادات والتأويلات، ونسد بذلك – وعلى أساس من روح الشريعة– كل باب يتأتى منه الخلط والتشويه، والانحراف عن مقاصد القرآن الكريم ورؤيته الكونية، ويكون مشجباً للخرافة والشعوذة والتلوث الفكري والثقافي."(37)

وهكذا فإن المقاصد بالنسبة إلى المفسر هي البوصلة التي تهديه إلى أقرب المعاني والدلالات، وتعصمه من أن يذهب بعيدا عن ما يتطلبه التوجيه والتأويل، وما يستدعيه التفسير والاستنباط.

2ـــ مقاصد السور ومقاصد القرآن

لقد تحدث بعض المفسرين عن مقاصد القرآن في سياق تفسير سور بعينها، ذلك أن تفسير بعض السور التي وردت الأحاديث في فضلها، وكونها تعدل قدرا من القرآن كان مناسبة للحديث عن مقاصد القرآن الكريم عند هؤلاء، وذلك بالتأمل في أغراض تلك السور ومقاصدها، والمقارنة بينها وبين مقاصد القرآن عامة، وأبرز هذه السور هي: الفاتحة، والزلزلة، والكافرون، والإخلاص. ومن المفسرين الذين عرضوا لعلاقة هذه السور بمقاصد القرآن، الرازي، والسيوطي، والألوسي، وسيد قطب.

---

(36) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار ابن عفان، ط1، الخبر، السعودية، 1417هـ، 1997م

(37) عبد الحميد أحمد أبو سليمان، حوارات منهجية في قضايا نقد متن الحديث الشريف، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع 39

2 ـــ 1 فخر الدين الرازي

2 ـــ 1 ـــ 1 سورة الفاتحة: تعد سورة الفاتحة أهم السور التي استوقفت المفسرين بحثا عن أوجه تضمنها لمقاصد القرآن ومعانيه على اعتبار أنها أم القرآن، وفاتحته التي لا يجزئ عن قراءتها في الصلاة شيء من القرآن. ولذلك نجد ما يشبه الإجماع عند العلماء على تضمنها عامة مقاصد القرآن، وإن اختلف توجيههم لهذا التضمن، يقول الرازي:" المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول والفروع والمكاشفات، وقد بينا أن هذه السورة (الفاتحة) مشتملة على تمام الكلام في هذه العلوم الثلاثة، فلما كانت هذه المطالب العالية الشريفة حاصلة فيها لا جرم كانت كالمشتملة على جميع المطالب الإلهية." (38)

وقد فصل الرازي مقاصد القرآن التي تضمنتها الفاتحة في موضع آخر فجعلها أربعة: أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى.

ووجه تضمن الفاتحة لهذه المقاصد برأي الرازي أن قوله تعالى:(الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم) يدل على الإلهيات، وقوله: (مالك يوم الدين) يدل على المعاد، وقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) يدل على نفي الجبر والقدر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله:(اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات... فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وكانت السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن." (39)

ونلاحظ من هذا التقسيم لمقاصد القرآن أن الرازي جعلها دائرة على العقائد، و لم يذكر ميدان التشريع، ويمكن أن نلمس إشارة إلى هذا الجانب التشريعي في قوله تعالى:(اهدنا الصراط المستقيم)؛ لأن الصراط المستقيم هو نهج يتحدد بعد الاعتقاد بالتزام الأوامر والنواهي، والآداب والأخلاق. (40)

2 ـــ 1 ـــ 2 سورة الإخلاص:

ثبت في الأحاديث أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وقد وجه الرازي هذا الأمر بأن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن،

فمقصد القرآن الأعظم ـــ بحسب هذا التقسيم ـــ هو معرفة الله سبحانه وتعالى، وقد أكد الرازي هذا التوجيه حين ذهب إلى أن القرآن كله صدف، و دره هو قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، ولذلك حصل لسورة الإخلاص هذا الفضل بتضمنها هذا المعنى.

---

(38) تفسير الفخر الرازي، 184/1

(39) المرجع نفسه، 184/1

(40) المرجع نفسه، 179/1

وهذا التقسيم يؤكد أن العقيدة هي أصل الشريعة والأحكام، ورأس المقاصد كلها الاعتقاد، وذروة سنام الاعتقاد معرفة الله سبحانه وتعالى، ذاته، وصفاته، وأفعاله. (41)

2 ــ 1 ــ 3 سورة الكافرون

وروي أن من قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن، والوجه فيه ــ كما قال الرازي ــ أن القرآن مشتمل على الأمر بالمأمورات والنهي عن المحرمات، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بالقلوب وإلى ما يتعلق بالجوارح، وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بأفعال القلوب فتكون ربعا للقرآن.

ونحن نرى أن مقاصد القرآن لا يمكن أن تقتصر على الأوامر والنواهي، ثم إن هذه السورة لا تتعلق بالنواهي، بل هي متعلقة بالعقيدة، ولعل هذا هو وجه كونها تعدل ربع القرآن؛ فإذا اعتبرنا مقاصد القرآن العامة هي التوحيد، والمعاد، والقصص، والتشريع، فإن سورة الكافرون تضمنت القصد الأول وهو التوحيد من خلال تخليص عقيدة التوحيد من شوائب الكفر والشرك وما إليهما. (42)

2 ــ 2 جلال الدين السيوطي

أشار السيوطي إلى تضمن سورة الفاتحة عامة مقاصد القرآن في سياق حديثه عن براعة الاستهلال، وهو "أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله، ولما كانت سورة الفاتحة هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان، "أخبرنا أبو القاسم بن حبيب أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ أنبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب." (43)

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة: علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـــ (رب العالمين الرحمن الرحيم)، ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة بـــ (الذين أنعمت عليهم)، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـــ (مالك يوم الدين)، وعلم العبادات، وإليه الإشارة بـــ (إياك نعبد)، وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بـــ (إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم)، وعلم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه

---

(41) المرجع نفسه،32/176 ــ 177

(42) المرجع نفسه،32/ 176 ــ 136

(43) السيوطي، الإتقان، ص690

الإشارة بقوله: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن. (44)

وقريب من هذا ما نقله السيوطي عن الطيبي من أن سورة الفاتحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين أحدها: علم الأصول ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم)، ومعرفة النبوة، وهي المرادة بقوله: (أنعمت عليهم)، ومعرفة المعاد، وهو المومي إليه قوله: (مالك يوم الدين).

وثانيها: علم الفروع، وأسه العبادات، وهو المراد بقوله: (إياك نعبد)

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجلّه الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية، والسلوك لطريقه، والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: (وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم).

ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله: (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). (45)

فمقاصد القرآن وفق هذا التقسيم هي: علم الأصول (معرفة الله وصفاته، والنبوات، والمعاد)، وعلم العبادات، وعلم السلوك، وعلم القصص، وهو تقسيم أكثر تفصيلا وأوضح معالم من تقسيم الرازي السابق الذي اقتصر فيه على ما يتعلق بالعقيدة (الإلهيات، والمعاد، والنبوات، والقدر)؛ فقد شمل العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والقصص، وهذه المقاصد هي من أهم مقاصد القرآن الكريم، كما سيتضح لنا عندما نتناول مختلف تقسيمات العلماء لها.

2 ــ 3 شهاب الدين الألوسي

2 ــ 3 ــ 1 سورة الكافرون

عرض شهاب الدين الألوسي لمقاصد القرآن عند تفسيره لسورة الكافرون، فبعد أن أورد الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر أنها تعدل ربع القرآن، وجّه ذلك بأن القرآن مشتمل على الأمر بالمأمورات والنهي عن المحرمات، وكل منهما إما أن يتعلق بالقلب أو الجوارح، فيكون أربعة أقسام، وهذه السورة مشتملة على النهى عن المحرمات المتعلقة بالقلب، فتكون كربع القرآن. (46)

ولكن هذا التقسيم الذي ذكره الألوسي عام جدا، إذ القول بانحصار مقاصد القرآن في المأمورات والمنهيات، لا يكفي في إدراك المقاصد وأقسامها على حقيقتها.

ولذلك وجدنا الألوسي يذكر اعتراض بعض العلماء على حصر مقاصد القرآن في المأمورات والمنهيات، لكون مقاصد القرآن العظيم لا تنحصر في الأمر والنهي المذكورين، بل هو مشتمل على مقاصد أخرى، كأحوال المبدإ والمعاد، ومن هنا قيل: لعل الأقرب أن يقال: إن مقاصد القرآن، التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد، والتوحيد عبارة عن

---

(44) المرجع نفسه، ص690

(45) المرجع نفسه، ص810

(46) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 30 /249

تخصيص الله تعالى بالعبادة ... والتخصيص إنما يحصل بنفي عبادة غيره تعالى وعبادة الله عز وجل؛ إذ التخصيص له جزآن: النفى عن الغير والإثبات للمخصص به، فصارت المقاصد بهذا الاعتبار أربعة، وهذه السورة تشتمل على ترك عبادة غيره سبحانه والتبرّي منها فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن، ولكونها ليس فيها التصريح بالأمر بعبادة الله عز و جل كما أن فيها التصريح بترك عبادة غيره تعالى لم تكن كنصف القرآن.(47)

ونلاحظ أن تقسيم مقاصد القرآن إلى توحيد وأحكام شرعية وأحوال المعاد تقسيم مقبول على الرغم من عموميته، ولكنه لم يورد بعض المقاصد الهامة، كجانب القصص.

وذكر الألوسي توجيها آخر بقوله: "وقيل إن مقاصد القرآن صفاته تعالى والنبوات والأحكام والمواعظ وهي مشتملة على أساس الأول وهو التوحيد ولذا عدلت ربعه."(48)

وهذا التقسيم أضاف إلى التوحيد والأحكام، مقصدا النبوات والمواعظ، ولكن هذين المقصدين غير محددين؛ إذ لا يمكن الفصل بسهولة بين مقصد التوحيد والأحكام من جهة، وبين مقصد المواعظ من جهة أخرى، أضف إلى ذلك أن مقصد القصص لم يحدد محله من مقصدي النبوات والمواعظ؛ إذ أن عامة حديث القرآن عن النبوات ورد في سياق قصص الأنبياء المذكورين في القرآن، مع اشتمال هذه القصص على المواعظ أيضا...

ثم ذكر الألوسي تقسيما آخر لمقاصد القرآن استحسنه ونسبه إلى بعض معاصريه فحواه أن الدين الذي تضمنه القرآن أربعة أنواع: عبادات ومعاملات وجنايات ومناكحات، والسورة متضمنة من النوع الأول فكانت ربعا.(49)

وهذا التقسيم برأينا غير جامع؛ ذلك أنه لم يتضمن مقصد العقائد على أهميته وكونه أس جميع المقاصد الأخرى، ثم إنه يجعل الجنايات والمناكحات خارج دائرة المعاملات مع أن العلماء درجوا على تقسيم الأحكام الشرعية كلها إلى عبادات ومعاملات.

2 ــ 3 ــ 2 سورة التكاثر

ومن السور التي كانت مناسبة للحديث عن مقاصد القرآن عند الألوسي سورة التكاثر، حيث أورد حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله تعالى وهو ضاحك في وجهه فقيل: يا رسول الله من يقوى على ألف آية؟ فقرأ سورة ألهاكم التكاثر إلى آخرها، ثم قال عليه الصلاة و السلام: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ألف آية." ثم أورد توجيه ناصر الدين بن الميلق لذلك بأن القرآن ستة آلاف ومائتا آية وكسر، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن، وهذه السورة تشتمل على سدس من مقاصد القرآن فإنها على ما ذكره الغزالي ستة؛ ثلاثة مهمة: وهي تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم، وتعريف الحال عند الرجوع إليه عز و جل، وثلاثة متمة وهي: تعريف أحوال المطيعين، وحكاية أقوال الجاحدين، وتعريف منازل الطريق،

---

(47) المرجع نفسه، 249/30

(48) المرجع نفسه، 249/30

(49) المرجع نفسه، 249/30

وأحدهما: معرفة الآخرة المشار إليه بتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى المشتمل عليه السورة، والتعبير على هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل من التعبير بالسدس. (50)

وهذا التوجيه الذي اعتمد فيه على تقسيم الغزالي لمقاصد القرآن، هو توجيه وجيه، وذلك بالنظر إلى أن تقسيم الغزالي لمقاصد القرآن ـــ كما سيأتي لاحق ـــ تقسيم علمي رصين ينم عن طول تأمل في القرآن، وفقه عميق لمعانيه ومقاصده.

وهكذا استطاع بعض المفسرين التهدي إلى المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، انطلاقا من بعض السور التي وردت الأحاديث في فضلها، وكونها تعدل قدرا من القرآن، وذلك بالتأمل في معاني تلك السور ومقاصدها.

2 ـــ 4 سيد قطب :

يعد سيد قطب من المفسرين الذين انتبهوا إلى استقلال كل سورة بمقصدها وموضوعها الخاص، وقد بين هذا الأمر بقوله: "إن من يعيش في ظلال القرآن يلحظ أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص .ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها؛ ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو، وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا." (51)

وبناء على هذا المبدإ كان سيد قطب يشير في مقدمة تفسيره لكثير من السور إلى محورها الذي تدور عليه آياتها، وموضوعها الذي تعالجه، فهو يقول عن سورة البقرة: "هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج ... فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها؛ وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين." (52)

ويقول عن سورة الكهف: "...أما المحور الموضوعي للسورة والذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة." (53)

ويقارن سيد قطب أحيانا بين سورتين لبيان الفرق بين تناولهما لموضوع أو قضية، فهو يقول عن سورة الأنعام والأعراف: "إن موضوع سورة الأنعام هو العقيدة .وموضوع سورة الأعراف هو العقيدة . . ولكن بينما سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها؛ وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، نجد سورة الأعراف – وهي تعالج

---

(50) المرجع نفسه، 223/30

(51) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط27، القاهرة، 1419هـــ/ 1998م، 1/ 27

(52) المرجع نفسه، 27/1

(53) المرجع نفسه، 4/ 1256

موضوع العقيدة كذلك – تأخذ طريقاً آخر، وتعرض موضوعها في مجال آخر . . إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري . . في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها ." (54)

ومن بين المؤشرات التي كان سيد قطب يعتمد عليها في تبيان موضوع السورة ومحورها نوع السورة إن كانت مكية أو مدنية، انطلاقا من مبدإ تمايز النوعين في المقاصد والخصائص "فالقرآن المكي، ولو أنه قرآن من القرآن، يشترك مع سائره في خصائصه القرآنية العامة؛ وفي تفرده من كل قول آخر لا يحمل الطابع الرباني الفريد العجيب، في الموضوع وفي الأداء سواء .. إلا أن له مع ذلك جوه الخاص، ومذاقه المعين." (55)

وقد هداه ذلك إلى استخلاص موضوع القرآن المكي ومقاصده، فــ "موضوعات السور المكية وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة أما الأصول الكبيرة لهذه العقيدة فهي الوحي، والرسالة، والتوحيد، والبعث والحساب، والجزاء." (56)

وهكذا فإن السور القرآنية كانت مدخلا عند عديد المفسرين للحديث عن مقاصد القرآن الكريم، انطلاقا من أن لكل سورة موضوع عام ومقصد محدد، وأن مقاصد القرآن هي مجموع مقاصد سوره، وأن فضل السورة يتأتى من نسبة ما تتضمنه من هذه المقاصد.

3 ــ تصنيفات العلماء لمقاصد القرآن

3 ــ 1 مقاصد القرآن عند أبي حامد الغزالي

ذهب عبد الكريم حامدي إلى أنه لم يوجد من القدماء من قسم مقاصد القرآن(57)، ولكننا لو تأملنا كتاب "جواهر القرآن" لأبي حامد الغزالي، لوجدنا تقسيما واضحا لمقاصد القرآن ... ويعد أبو حامد الغزالي بهذا الوحيد ــ من بين القدماء ــ الذي وضع تصنيفا واضحا ودقيقا لمقاصد القرآن الكريم.

وقد قسم الغزالي مقاصد القرآن إلى نوعين فقال: " انحصرت مقاصد سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة، وثلاثة هي الروادف والتوابع المغنية المتمة؛ أما الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه. (58)

وأما الثلاثة المغنية المتمة فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم وسره، ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم، وسرّه ومقصوده الاعتبار والترهيب.

---

(54) المرجع نفسه،1243/3

(55) المرجع نفسه،1745/3

(56) المرجع نفسه،2077/4

(57) عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ص16

(58) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص23

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم والمجادلة والمحاجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد.(59)

ثم فصل أبو حامد هذه المقاصد بذكر أقسامها وما تشتمل عليه؛ فتعريف المدعو إليه، هو شرح معرفة الله تعالى، وتشتمل هذه المعرفة على معرفة ذات الحق تبارك وتعالى، ومعرفة الصفات، ومعرفة الأفعال.(60)

وأهم هذه الأنواع معرفة الذات، ثم تليها معرفة الصفات، وتليها معرفة الأفعال، ومعرفة الذات أضيقها مجالا، وأعسرها منالا، وأعصاها على الفكر، وأبعدها عن قبول الذكر، ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تلويحات وإشارات، ويرجع ذكرها إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى:(ليس كمثله شيء)(الشورى: 11) وسورة الإخلاص، وإلى التعظيم المطلق كقوله:(سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض)(الأنعام :100،101).

وأما الصفات فالمجال فيها أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع، ولذلك كثرت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة، والكلام والحكمة، والسمع والبصر وغيرها.

وأما الأفعال فبحر متسعة أكنافه، ولا تنال بالاستقصاء أطرافه، بل ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، وكل ما سواه فعله، كذكر السموات والكواكب، والأرض والجبال، والشجر والحيوان، والبحار والنبات، وإنزال الماء الفرات، وسائر أسباب النبات والحياة، وهي التي ظهرت للحس.(61)

وأما طريق السلوك إلى الله تعالى فيكون بالتبتل كما قال الله تعالى:(وتبتل إليه تبتيلا)(المزمل:8) أي انقطع إليه، والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والإعراض عن غيره، وترجمته قوله: (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)(المزمل:9)، والإقبال عليه إنما يكون بملازمة الذكر، والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها، والفلاح نتيجتها كما قال تعالى: (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)(الأعلى:14،15)

فعمدة الطريق أمران: الملازمة والمخالفة؛ الملازمة لذكر الله تعالى، والمخالفة لما يشغل عن الله، وهذا هو السفر إلى الله، وليس في هذا السفر حركة، لا من جانب المسافر، ولا من جانب المسافر إليه، فإنهما معا، أو ما سمعت قوله تعالى وهو أصدق القائلين:(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(ق:16) (62)

وأما تعريف الحال عند ميعاد الوصول فيشتمل على ذكر الروح والنعيم الذي يلقاه الواصلون، والعبارة الجامعة لأنواع روحها الجنة، وأعلاها لذة النظر إلى الله تعالى، ويشتمل أيضا على ذكر الخزي والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه بإهمال السلوك، والعبارة الجامعة لأصناف آلامها الجحيم، وأشدها ألما ألم الحجاب والإبعاد، أعاذنا الله منه، ولذلك قدمه في قوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم إنهم لصالوا الجحيم)(الطففين:16)، ويشتمل على ذكر مقدمات

---

(59) المرجع نفسه، ص24

(60) المرجع نفسه، ص25

(61) المرجع نفسه، ص26

(62) المرجع نفسه، ص28

أحوال الفريقين، وعنها يعبر بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط، ولها ظواهر جلية تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق، ولها أسرار غامضة تجري مجرى الحياة لخصوص الخلق، وثلث آيات القرآن وسوره يرجع إلى تفصيل ذلك...(63)

أما أحوال السالكين والناكبين: فهي قصص الأنبياء والأولياء، كقصة آدم ونوح، وإبراهيم وموسى وهارون، وزكرياء ويحيى، وعيسى ومريم، وداود وسليمان، ويونس ولوط، وإدريس والخضر، وشعيب وإلياس، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وجبريل وميكائيل والملائكة وغيرهم، وكقصص نمرود وفرعون، وعاد وقوم لوط، وقوم تبع، وأصحاب الأيكة، وكفار مكة، وعبدة الأوثان، وإبليس والشياطين وغيرهم، وفائدة هذا القسم الترهيب والتنبيه والاعتبار، ويشتمل أيضا على أسرار ورموز وإشارات محوجة إلى التفكر الطويل...(64)

أما القسم الخامس فيشتمل على محاجة الكفار ومجادلتهم، وإيضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف تخاييلهم وأباطيلهم،(65) وذلك ثلاثة أنواع: ذكر الله تعالى بما لا يليق به، من أن الملائكة بناته وأن له ولدا وشريكا، وأنه ثالث ثلاثة، وذكر رسول الله بأنه ساحر وكاهن وكذاب، وإنكار نبوته، وأنه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يتبع، وإنكار اليوم الآخر، وجحد البعث والنشور، والجنة والنار، وإنكار عاقبة الطاعة والمعصية.

أما القسم السادس والأخير فهو في تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية التأهب للزاد، والاستعداد بإعداد السلاح الذي يدفع سراق المنازل وقطاعها، وبيانه أن الدنيا مترل من منازل السائرين إلى الله تعالى، والبدن مركب، فمن ذهل عن تدبير المترل والمركب لم يتم سفره، وما لم ينتظم أمر المعاش في الدنيا لا يتم أمر التبتل والانقطاع إلى الله تعالى الذي هو السلوك، ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالما ونسله دائما، ويتم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما وأسباب الدفع لمفسداقما ومهلكاقما.(66)

أما أسباب الحفظ لوجودهما فالأكل والشرب، وذلك لبقاء البدن، والمناكحة، وذلك لبقاء النسل، فقد خلق الغذاء سببا للحياة، وخلق الإناث محلا للحراثة، إلا أنه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين بحكم الفطرة، ولو ترك الأمر فيه مهملا من غير تعريف قانون في الاختصاصات لتهاونوا وتقاتلوا، وشغلهم ذلك عن سلوك الطريق، بل أفضى بهم إلى الهلاك، فشرح القرآن قانون الاختصاص بالأموال في آيات المبايعات والربويات والمداينات، وقسم المواريث، ومواجب النفقات، وقسمة الغنائم والصدقات، والمناكحات، والعتق والكتابة والاسترقاق والسبي، وعرف كيفية ذلك التخصيص عند الاتهام بالإقراريات وبالأيمان والشهادات.

وأما الاختصاص بالإناث فقد بينته آيات النكاح والطلاق والرجعة والعدة، والخلع والصداق والإيلاء والظهار واللعان، وآيات محرمات النسب والديات والقصاص.

---

(63) المرجع نفسه، ص28

(64) المرجع نفسه، ص31

(65) المرجع نفسه، ص31

(66) المرجع نفسه، ص32

وأما أسباب الدفع لمفسداتهما فهي العقوبات الزاجرة عنها، كقتال الكفار وأهل البغي والحث عليه، والحدود والغرامات والتعزيرات، والكفارات والديات والقصاص.

أما القصاص والديات فدفعا للسعي في إهلاك الأنفس والأطراف، وأما حد السرقة وقطع الطريق فدفعا لما يستهلك الأموال التي هي أسباب المعاش، وأما حد الزنا واللواط والقذف فدفعا لما يشوش أمر النسل والأنساب، ويفسد طريق التحارث والتناسل، وأما جهاد الكفار وقتالهم فدفعا لما يعرض من الجاحدين للحق من تشويش أسباب المعيشة والديانة اللتين بهما الوصول إلى الله تعالى، وأما قتال أهل البغي فدفعا لما يظهر من الاضطراب، بسبب انسلال المارقين عن ضبط السياسات الدينية التي يتولاها حارس السالكين وكافل المحقين نائبا عن رسول رب العالمين ... ويشتمل هذا القسم على ما يسمى الحلال والحرام وحدود الله. (67)

إن هذا التقسيم الذي جاء به الغزالي تقسيم يبدو شاملا لجميع مقاصد القرآن، وسنجد أن تصنيف العلماء بعد الغزالي لمقاصد القرآن لا يكاد يخرج عما ذكره، ومما انفرد به الغزالي في هذا التقسيم هو جعله ما سماه (تعريف الصراط المستقيم) أو طريق القرب من الله مقصدا أساسيا مستقلا مع أننا يمكن أن ندرجه ضمن المقصد الأول المتعلق بتعريف المدعو إليه.

والأمر الثاني الذي يلاحظ على تصنيف الغزالي لمقاصد القرآن هو تمييزه بين نوعين من المقاصد: أساسية وثانوية، أو ما سماه مقاصد مهمة وأخرى متمة، وهذا الأمر ذو أهمية بالغة في تصنيف المقاصد، ولعله سبب كثير من الاختلاف بشأنها؛ إذ أن ما يعده أحدهم مقصدا مستقلا يعده غيره مقصدا تابعا لغيره، بل إننا نجد في بعض التصنيفات خلطا بين المقاصد الأساسية والمقاصد الثانوية التي ينبغي أن تدرج ضمنها.

ويمكن القول إن مقاصد القرآن الأساسية بحسب الغزالي هي: 1) التوحيد (تعريف المدعو إليه)، 2) المعاد أو الوعد والوعيد (تعريف الحال عند الوصول إليه)، 3) القصص (تعريف أحوال السالكين والناكبين)، 4) أحكام التشريع (تعريف عمارة منازل الطريق).

ويلاحظ أن مقاصد الشريعة التي يعبر عنها العلماء بالكليات الخمس أدرجها الغزالي ضمن المقصد الأخير المتعلق بعمارة منازل الطريق، وهذا الأمر يعزز ما ذهبنا إليه من أن مقاصد القرآن تختلف عن مقاصد الشريعة، فهذه مقصد واحد من مقاصد القرآن الكريم.

3 ــ 2 مقاصد القرآن عند رشيد رضا

في كتابه (الوحي المحمدي) عرض الأستاذ رشيد رضا إلى مقاصد القرآن، وجعلها عشرة:

المقصد الأول: أركان الدين الثلاثة: الإيمان بالله تعالى، وعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح، والمقصد الثاني: النبوة والرسالة، والمقصد الثالث: إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام، والمقصد الرابع: الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني

---

(67) المرجع نفسه، ص33

المقصد الخامس: مزايا الإسلام العامة، أو خصائص الشريعة

المقصد السادس: حكم الإسلام السياسي، أو النظام السياسي

المقصد السابع: حكم المال، أو النظام الاقتصادي

المقصد الثامن: نظم الحرب وفلسفتها، أو السياسة الدولية

المقصد التاسع: قضايا المرأة

المقصد العاشر: تحرير الرقيق.(68)

ولنا على هذا التصنيف الذي جاء به رشيد رضا عدة ملاحظات، فهو قد ضمن المقصد الأول مقصدين أساسيين هما التوحيد والمعاد، و لم يرد عنده ذكر لمقصد القصص على أهميته، أما عامة المقاصد التي أدرجها في تصنيفه فهي متعلقة بالأحكام التشريعية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا الأمر يدل على عدم تمييزه بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.

كما أن بعض المقاصد التي ذكرها رشيد رضا مقاصد فرعية ثانوية كمقصد تحرير الرق، وقضايا المرأة، مما يدل على أن التصنيفات المختلفة لمقاصد القرآن تتأثر أحيانا بخلفيات أصحابها الفكرية والعلمية، كما أن رشيد رضا أورد مزايا الإسلام العامة أو خصائص الشريعة ضمن مقاصد القرآن، مع أنها ليست كذلك.

وقد لاحظ عبد الكريم حامدي بخصوص هذا التقسيم أن بعض مقاصده متداخل مع البعض الآخر، فكان أن اختصر هذه المقاصد في سبعة هي: الإصلاح العقدي، والإصلاح الفكري، والإصلاح الاجتماعي، والإصلاح التشريعي، والإصلاح المالي، والإصلاح السياسي، والإصلاح الحربي.(69)

3 ــ 3 مقاصد القرآن عند عبد العظيم الزرقاني

أجمل الشيخ عبد العظيم الزرقاني، مقاصد القرآن الكريم في ثلاثة مقاصد في قوله:"

.بما أن الترجمة عرفا لا بد أن تتناول مقاصد الأصل جميعا فإنا نقفك على أن لله تعالى في إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسية هي: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس.(70)

فهداية القرآن تمتاز بأنها عامة، وتامة وواضحة، أما عمومها فلأنها تنتظم الإنس والجن، في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، وأما تمامها: فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه وبالكون الذي يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد.

---

(68) رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر، 1408هـ/ 1988م، ص166 وما بعدها

(69) عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ص38 ، وقد اتخذ الحامدي هذا التصنيف أساسا لدراسته حول مقاصد القرآن.

(70) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1422هـ، 2001م، 21/1

وأما وضوح هذه الهداية فلعرضها عرضا رائعا مؤثرا توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع بأسلوب فذ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق، وأمثال خلابة تخرج أدق المعقولات في صورة أجلى الملموسات، وحكم بالغات تبهر الألباب، وقصص حكيم مختار يقوي الإيمان واليقين، ويهذب النفوس والغرائز، ويصقل الأفكار والعواطف، ويدفع الإنسان دفعا إلى التضحية والنهضة... (71)

وإعجاز القرآن أن يقوم في فم الدنيا آية شاهدة برسالة سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وسلم وأن يبقى على جبهة الدهر معجزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق ظاهرا على الدين كله، وأبرز أوجه هذا الإعجاز بلاغته العليا ...

وأما التعبد بتلاوته فهو أن يتعبد الله خلقه بتلاوته، ويقربهم إليه ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ولو من غير فهمه، فإذا انضاف الفهم إلى التلاوة زاد الأجر. (72)

ويلاحظ أن المقاصد التي ذكرها الزرقاني، ليست مما نحن بصدده، فهي لا تتعلق بالقضايا والمحاور العامة للقرآن، ولكنها تتعلق بالمقاصد العامة من إنزال القرآن أصلا، وبذلك تكون إلى الخصائص أقرب منها إلى المقاصد.

3 ـــ 4 مقاصد القرآن عند محمود شلتوت

قام العلامة محمود شلتوت في كتابه "إلى القرآن الكريم" بتقسيم مقاصد القرآن إلى ثلاثة أنواع بقوله: "إن مقاصد القرآن تدور حول نواح ثلاث: ناحية العقيدة، وناحية الأخلاق، وناحية الأحكام.

فالعقائد تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية، وتربطه بمبدإ الروحية الصافية، وهي تشمل ما يجب الإيمان به في جانب الله من صفات الجلال والكمال، وما يجب الإيمان به في جانب الوحي والرسالات من الملائكة والكتب والنبيين وما يجب الإيمان به في حالات اليوم الآخر من البعث والجزاء.

والأخلاق تهذب النفس وتزكيها، وترفع من شأن الفرد والجماعة، وتقوي عرى التآخي والتعاون بين بني الإنسان وتشمل: الصدق، والصبر، والوفاء بالعهد، والحلم، والجود، والرحمة، وغيرها مما يحقق في الإنسان ثمرة إيمانه بالله وصفاته التي يجب أن يكون عليها.

والأحكام هي ما بينه الله في كتابه أو بين أصوله من النظم التي يجب اتباعها في تنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وتشمل:

أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج واليمين والنذر وما إلى ذلك ...

أحكام الزواج والطلاق وما يتبعهما من مهر ونفقة ورضاعة ونسب وعدّة ووصية وإرث وما إلى ذلك...

أحكام البيع والإجارة والرهن والمداينة، وما إلى ذلك ...

أحكام الجنايات والجرائم، كالقتل والسرقة، والإفساد في الأرض، والزنا، والقذف، وما إلى ذلك.

أحكام الحرب والسلم وما يتبعها من غنائم وأسرى، ومعاهدات، وما إلى ذلك ... (73)

---

(71) المرجع نفسه، 23/1

(72) المرجع نفسه، 26/1

إن المقاصد الثلاثة التي ذكرها شلتوت هي من أركان المقاصد القرآنية، فمقصد العقيدة يتضمن التوحيد والمعاد وما يتبعهما من الإيمان بالكتب والرسل، والأحكام هي مقصد أساسي من مقاصد القرآن، والأخلاق هي جانب مهم يمكن أن يشكل مقصدا خاصا، وقد تميز تصنيف شلتوت بجعل مقصد الأخلاق مستقلا، ولكنه لم يورد مقصد القصص على الرغم من أن هذا المقصد يشكل شطر القرآن.

3 ــ 5 مقاصد القرآن عند محمد الطاهر بن عاشور:

تحدث محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره عن مقاصد القرآن الكريم وجعلها ثمانية:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما.(74)

الثاني: الأخلاق، ففي الحديث الذي رواه مالك في الموطإ بلاغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق" وهذا القصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة، وقال أبو خراش الهذلي مشيرا إلى ما دخل على العرب من أحكام الإسلام بأحسن تعبير:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل(75)

الثالث: الأحكام، فقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم، فقوله: "تبيانا لكل شيء"، وقوله: " اليوم أكملت لكم دينكم المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس. قال الشاطبي : "لأنه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين إلا والمجموع فيه أمور كلية".(76)

الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها" وقوله: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء".(77)

---

(73) محمود شلتوت ، إلى القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ، 1983م، ص6

(74) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 40/1

(75) المرجع نفسه، 40/1

(76) المرجع نفسه، 40/1

(77) المرجع نفسه، 40/1

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين" "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" وللتحذير من مساويهم قال: " وتبين لكم كيف فعلنا بهم". (78)

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في افانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: "يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا". (79)

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول، إذ التصديق يتوقف على صدق المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه "قل فأتوا بسورة مثله" ولمعرفة أسباب الترول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه. (80)

وأول ما يلاحظ على تصنيف ابن عاشور للمقاصد أنه تضمن المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، فالمقصد الأول (الاعتقاد) يشير إلى مقصد التوحيد، والمقصد الثالث تضمن مقصد الأحكام بصفة عامة، والمقصد الخامس هو مقصد القصص، والمقصد السابع الذي سماه ابن عاشور المواعظ والإنذار أو التحذير والتبشير هو مقصد الوعد والوعيد، وإذا اعتبرنا جانب الأخلاق مقصدا خاصا فقد تضمنه المقصد الثاني عند ابن عاشور.

غير أن هناك ثلاثة مقاصد ذكرها ابن عاشور وليست من المقاصد الأساسية، وهي: سياسة الأمة، والتعليم، والإعجاز، أما سياسة الأمة والتعليم فهما مندرجان ضمن المقاصد الأخرى، ومتضمنان فيها، وأما الإعجاز فهو مقصد يتعلق بخصائص القرآن.

3 ــ 6 مقاصد القرآن عند محمد الغزالي

يمكن عد كتاب الشيخ محمد الغزالي ــ رحمه الله ــ (المحاور الخمسة للقرآن الكريم) أحد التصنيفات الهامة لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وذلك من خلال الحديث عن محاوره وموضوعاته العامة.

وقد جعل الغزالي محاور القرآن الكريم خمسة:

المحور الأول: الله الواحد: تحدث فيه عن أن التوحيد هو قانون الوجود ونظام الحياة، وقضية القدر والجبر...

---

(78) المرجع نفسه، 41/1

(79) المرجع نفسه، 41/1

(80) المرجع نفسه، 41/1

المحور الثاني: الكون الدال على خالقه: وركز فيه على آيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق، وارتباط الذكر والدعاء بمشاهد الخليقة في الأرض والسماء، وكون عقيدة البعث والجزاء امتدادا للإيمان بالله.

المحور الثالث: القصص القرآني: وفيه حديث عن كون القصص القرآني أداة للتربية، وموقف المسلمين من رسالتهم، والأبعاد النفسية والاجتماعية للإسلام، والعلاقة بين العلم والحكم في تاريخ الإسلام.

المحور الرابع: البعث والجزاء: وقد اعتمد الشيخ الغزالي في بسط هذا المقصد على تفسير موضوعي تحليلي لسورة الواقعة، باعتبار عرضها لنماذج من مشاهد القيامة ومصائر الناس يومئذ، والتدليل على يوم البعث والجزاء بأدلة من آيات الله ونعمه ...

المحور الخامس: ميدان التربية والتشريع: وفي هذا المبحث ركز الغزالي على منهيات القرآن الكريم مما لا يحبه الله تعالى من الأخلاق كالاعتداء، والكبر، والخيانة، والسرف، وبعض محاب الله تعالى، كالإحسان، والتوبة، والرحمة، والتقوى، التوكل. (81)

إن تصنيف الشيخ محمد الغزالي السابق لمقاصد القرآن تصنيف شامل؛ فقد احتوى على التوحيد والقصص والمعاد والتشريع، وما يستدعي التوقف في تقسيمه هو أنه جعل دلالة الكون على الخالق مقصدا مستقلا، مع أنه يمكن أن يضم إلى المقصد الأول المتعلق بالله الواحد؛ إذ أن ما في الكون من آيات وآلاء دلائل على الخالق...

3 ـــ 7 مقاصد القرآن عند محمد الصالح الصديق

قسّم محمد الصالح الصديق مقاصد القرآن إلى ثمانية مقاصد، خص كل مقصد بباب من أبواب كتابه (مقاصد القرآن)، ومقاصد القرآن عنده هي:

التوحيد، والعقائد، والدين، والتشريع، والعبادات، والقصص، وإعجاز القرآن، وأصول المثل العليا والنظم الاجتماعية. (82)

وقد جعل الصدّيق ضمن كل مقصد مجموعة من المباحث؛ فضمن مقصد التوحيد أدرج المباحث الآتية: وجود الله، علمه ووحدانيته، قدرته، صفاته وأفعاله، الخلق أو الخليقة. (83)

وضمن مقصد العقائد: لكل أجل حد، الموت، الحساب، الجنة، النار، خلود المؤمنين في الجنة، خلود الكافرين في النار. (84)

---

(81) محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دت)

(82) محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1403هـ/1982م.

(83) المرجع نفسه، ص53 ـــ 116

(84) المرجع نفسه، ص145 ـــ 177

وضمن مقصد الدين تحدث عن: الدين، التفرق والاختلاف في الدين، الاتحاد والاعتصام بالدين، الاستقامة، الإيمان، الإسلام، الأوامر والنواهي، التجمل والتمتع في نظر الإسلام. الخصال التي تجعل القول أحسن الأقوال، محمد وأصحابه، صفات المؤمنين، المؤمنون بالكتاب، المنتفعون بالكتاب، الترهيب من إذاية المؤمنين، التقوى، الخشوع لذكر الله، المنافقون، حالة اليهود والنصارى مع المؤمنين، نزعات طائفة من أهل الكتاب، حال أهل الكفر والإيمان، الكتب المقدسة، عبادة الأوثان.(85)

وفي مقصد التشريع تحدث عن التشريع قبل الإسلام، حاجة البشرية إلى الإسلام، عالمية الإسلام، أصول التشريع الإسلامي، أهداف الإسلام من وراء التشريع، إبطال الرق، مصادر التشريع الإسلامي، أنواع التشريع الإسلامي.(86)

وضمن مقصد العبادات تناول الطهارة، والصلاة، والزكاة والصدقة، والصيام، والحج.(87)

وفي باب القصص تحدث عن قصص الأنبياء، قصص لها تاريخ.

وتحدث في باب إعجاز القرآن عن المعجزات ووجوه الإعجاز.(88)

أما المقصد الثامن (أصول المثل العليا والنظم الاجتماعية) فتضمن:المساواة والتعاون في الإسلام، التفاضل بين الناس، أقوم المناهج في معاملة الناس، أداء الأمانة والعدل في الأحكام.(89)

وهذا التصنيف الذي اتبعه محمد الصالح الصديق يشوبه بعض التداخل بين أبوابه؛ فقد ذكر التوحيد والعقائد منفصلين مع أنهما يشكلان مقصدا واحدا، وجعل التشريع والعبادات مقصدين مختلفين على الرغم من أن العبادات جزء من التشريع، كما أنه ذكر الإعجاز بين مقاصد القرآن، وهو من خصائصه.

ومع ذلك فقد تضمن تصنيف الصدّيق عامة مقاصد القرآن؛ التوحيد أو العقائد، والتشريع، والقصص، والأخلاق أو ما سماه أصول المثل العليا، إلا أن تصنيف الصديق خلا من مقصد المعاد أو الوعد والوعيد، وهو أحد أهم مقاصد القرآن.

3 ــ 8 مقاصد القرآن عند يوسف القرضاوي

تأخذ المقاصد عند القرضاوي مفهوم المبادئ التي لا تصلح الإنسانية بغيرها، وقد ذكر سبعة من مقاصد القرآن، رأى أن القرآن أكدها وكررها، وعني بها أشد العناية، وهي: تصحيح العقائد والتصورات، وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه، وعبادة الله وتقواه، والدعوة إلى تزكية النفس البشرية، وتكوين الأسرة وإنصاف المرأة، وبناء الأمة الشهيدة على البشرية، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون.(90)

---

(85) المرجع نفسه، ص184 ــ 325

(86) المرجع نفسه، ص327 ــ 380

(87) المرجع نفسه، ص383 ــ 425

(88) المرجع نفسه، ص493 ــ 510

(89) المرجع نفسه، ص511

(90) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، دار الشروق، ط3،القاهرة،2000م، ص73 ــ 115

فتصحيح العقائد والتصورات يتجلى عنده في إرساء دعائم التوحيد، وتصحيح العقيدة في النبوة والرسالة، وتثبيت عقيدة الإيمان بالآخرة والجزاء، (91) وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه يتجلى في تقرير كرامة الإنسان، وتقرير حقوقه، وتأكيد حقوق الضعفاء من الناس. (92)

وعبادة الله وتقواه تتجلى في تلك المعاني التي حفل بها القرآن الكريم كالثناء على الله جل شأنه، والتذكير بواسع علمه، وبالغ حكمته، وعظيم قدرته، وشمول مشيئته، وعظمة إبداعه، وسعة رحمته، وآثار ربوبيته، والترغيب في القيام بعبوديته، والوقوف على عتبته، والرجاء في فضله، والخوف من سطوة عدله، وإسلام الوجه له، والاستغراق في حبه، والأنس به، والشوق إليه، والاطمئنان بذكره، والاجتهاد في شكره وحسن عبادته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والصبر على بلائه، والرضا بقضائه. (93)

والدعوة إلى تزكية النفس البشرية، يشير إليها قوله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) [الشمس:7ـ10]، فالنفس بفطرتها مستعدة للفجور الذي يدنسها ويدسيها، استعدادها للتقوى التي تطهرها وتزكيها، وعلى الإنسان بعقله وإرادته أن يختار أي الطريقين: طريق التزكية أو طريق التدسية، ولا ريب أنه إذا اختار طريق التزكية فقد اختار طريق الفلاح. (94)

وتكوين الأسرة وإنصاف المرأة من المقاصد التي هدف إليها القرآن، بما شرعه من تكوين الأسرة الصالحة التي هي ركيزة المجتمع الصالح، ونواة الأمة الصالحة. (95)

وبناء الأمة الشهيدة على البشرية يعني تكوين أمة متميزة تطبق رسالته وتؤسس حياتها على عقيدته وشريعته ومثله، وتربي أجيالها على هداه وتحمل رسالته إلى العالم كله، فتحمل معها الرحمة والنور والخير للبشرية كلها، وفق خصائص الربانية والوسطية والدعوة والوحدة. (96)

والدعوة إلى عالم إنساني متعاون يؤكد كون الإسلام رسالة عالمية، ودعوة للناس كافة، ورحمة لكل عباد الله، عربا كانوا أو عجما، ولكل بلاد الله، شرقا كانت أم غربا، وإلى جميع الألوان، بيضا كانوا أو سودا. (97)

وفي هذا التقسيم الذي اعتمده القرضاوي يبدو مصطلح المقاصد أقرب إلى مفهومه الأصولي الذي استخدمه علماء الأصول في حديثهم عن مقاصد الشريعة؛ ولكنه لم يتبع تقسيم الأصوليين للمقاصد، وإذا استثنينا مقصد تصحيح العقائد الذي يقابل مقصد التوحيد كما ورد في مختلف التصنيفات الأخرى لمقاصد القرآن، فإن القرضاوي جاء بتصنيف خاص

---

(91) المرجع نفسه، ص73

(92) المرجع نفسه، ص78

(93) المرجع نفسه، ص86

(94) المرجع نفسه، ص92

(95) المرجع نفسه، ص96

(96) المرجع نفسه، ص107 ــ 111

(97) المرجع نفسه، ص115

ركز فيه على بعض القضايا، كتقرير كرامة الإنسان، وتكوين الأسرة، وبناء الأمة، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون، فكان بذلك تصنيفا محدثا لمقاصد الشريعة.

3 ــ 9 مقاصد القرآن عند عبد الكريم حامدي

انطلق الدكتور عبد الكريم حامدي من تقسيم ابن عاشور للمقاصد إلى مقاصد عامة، ومقاصد خاصة. (98)

فأما المقاصد العامة فقد جعلها دائرة على التقسيم الثلاثي الذي ذكره ابن عاشور للمقاصد العامة من أنها تتضمن: تحقيق الصلاح الفردي، والصلاح الاجتماعي، والصلاح العالمي. (99)

وأما المقاصد الخاصة فقد استمد أقسامها مما ذكره رشيد رضا ــ بعد شيء من التعديل ــ فأجملها في: إصلاح العقل، وإصلاح النفس، وإصلاح الجسم، والإصلاح العائلي، والإصلاح المالي، والإصلاح العقابي، والإصلاح السياسي، والإصلاح التشريعي. (100) وهكذا مزج الحامدي بين التقسيمين السابقين فتوصل إلى أن مقاصد القرآن العامة ثلاثة هي:

أولا: مقصد تحقيق الصلاح الفردي، ويشمل مقصد إصلاح العقل، ومقصد إصلاح النفس، ومقصد إصلاح الجسم.

ثانيا: مقصد تحقيق الصلاح الاجتماعي، ويشمل مقصد الإصلاح العائلي، ومقصد الإصلاح المالي، ومقصد الإصلاح العقابي.

ثالثا: مقصد تحقيق الصلاح العالمي، ويشمل مقصد الإصلاح التشريعي، ومقصد الإصلاح السياسي. (101)

فالصلاح الفردي يقوم على إصلاح التصورات العقدية والفكرية فيما يتعلق بعالمي الغيب والشهادة، وكذا إصلاح أحوال النفس الظاهرة والباطنة وتخليصها من العيوب والأمراض لتستقيم على الطاعة، وكذا إصلاح الجسم ووقايته من المهلكات وحفظه من الأضرار. (102)

والصلاح الاجتماعي يقوم على إصلاح الخلية الاجتماعية الأولى وهي العائلة، وذلك بتنظيم اجتماعها على أسس الزواج السليم، وافتراقها عند الحاجة والضرورة وفق نظام الطلاق، وكذا إصلاح النظام المالي بتنظيم طرق التملك والكسب، وحفظ المال وحمايته من أسباب الفساد، وكذا إصلاح النظام العقابي بتنظيم العقوبات وتنفيذها وفق الضوابط الشرعية لتحقيق مقاصدها في النفس والمجتمع. (103)

---

(98) عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ص47

(99) المرجع نفسه، ص48

(100) المرجع نفسه، ص663

(101) المرجع نفسه، ص48 ــ 49

(102) المرجع نفسه، ص663

(103) المرجع نفسه، ص663

أما الإصلاح العالمي فيقوم على إصلاح النظام التشريعي الحاكم للمجتمع، وتنظيمه بما يحقق خلود الشريعة وحفظها من الجمود والركود بفتح باب الاجتهاد، وكذا إصلاح نظام الحكم بإقامة الحكومة الإسلامية على أسس القرآن من أجل حراسة الدين وسياسة الدنيا. (104)

وهذا التقسيم الذي اعتمد عليه الحامدي يرتكز على مقاصد الشريعة والتشريع، ولا يكاد يخرج عن هذه الدائرة (الفقهية)، ويمكن أن نذكر طائفة من الأدلة تعزز هذا الحكم:

1 ــ أن عنوان كتابه (مقاصد القرآن من تشريع الأحكام)، فهو يتجه صوب الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات.

2 ــ أنه انطلق أصلا من تقسيمات العلماء لمقاصد الشريعة، ومن تقسيم محمد الطاهر بن عاشور بالتحديد، وهو يصرح بذلك في مقدمة كتابه بقوله:"...من هنا يأتي هذا البحث، ليشكل ما توصل إليه ابن عاشور ومن معه، نواته وقاعدته، مع التوسع في التفسير والتحليل والبيان." (105)

3 ــ أن محور الدراسة كان آيات الأحكام في مجالي العبادات والمعاملات، كما ذكر المؤلف في مقدمة الدراسة. (106)

وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن عبد الكريم حامدي استخدم مصطلح مقاصد القرآن ولكن بمفهوم مصطلح مقاصد الشريعة، وعلى الرغم من أنه حاول أن يماهي بين المصطلحين فإنه ركز في تصنيفه لمقاصد القرآن ودراسته لها على مقاصد التشريع القرآني، لا على محاور القرآن الكريم والقضايا الكبرى التي عالجها، أي أن دائرة المقاصد التي بنى عليها الحامدي دراسته هي ضمن دائرة مقصد واحد من مقاصد القرآن العامة؛ هو مقصد التشريع.

3 ــ 10 مقاصد القرآن عند طه جابر العلواني

يذهب طه جابر العلواني إلى إجمال مقاصد القرآن الكريم في ثلاثة هي: التوحيد والتزكية والعمران، فيقول: "... والمقاصد عندي هي التي تغياها القرآن بحيث تمثل غاياته الأساسية التي لا يمكن الإخلال بها، هذه الغايات توصلنا إلى أنها ثلاث: هي التوحيد والتزكية والعمران" . (107)

ثم حاول أن يشرح هذه الرؤية فذهب إلى أن الخطاب القرآني له مصدر هو الله تبارك وتعالى، وله من وجه إليه الخطاب؛ وهو الإنسان، وهناك ميدان الفعل الإنساني؛ ألا وهو الكون، عليه أن يتحقق فيه العمران، فهناك تفاعل بين

---

(104) المرجع نفسه، ص664

(105) المرجع نفسه، ص11

(106) المرجع نفسه، ص12

(107) من حوار مع الدكتور طه جابر العلواني، في حصة الشريعة والحياة، بثت على قناة الجزيرة بتاريخ، 1010/02/28م.

عناصر ثلاثة: غيب وإنسان وكون، من هذا التفاعل يحدث الفعل الإنساني، والفعل الإنساني يحتاج إلى عملية تقويم، والفقه كله عبارة عن تقويم للفعل الإنساني." (108)

إن هذا التصنيف الذي توصل إليه العلواني، تصنيف مجمل ولكنه تضمن مقاصد أساسية شاملة؛ فمقصد التوحيد عنده يشمل المعاد، لأن المعاد يترتب على القول بالتوحيد، ومقصد التزكية الذي ذكره لا شك أنه يتضمن الأخلاق وطرفا من التشريع، أما مقصد العمران فيشمل كل أحكام الشريعة، ولكنه يوحي بأنه يمتد إلى كل ما يبتدعه الإنسان ويتهدى إليه من وسائل ونظم حياتية تحقق مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض في إطار العبودية لله سبحانه وتعالى، وإذ لم يجعل العلواني موضوع القصص مقصدا خاصا للقرآن فلأن جانب القصص ليس مقصودا لذاته، ولكنه مقصد يعزز المقاصد الأخرى، سواء ما تعلق منها بالعقائد أم بالتشريعات، فالقصص القرآني جاء ليبرز نماذج المستجيبين للهدى والمعرضين عنه، وعاقبة الفريقين، و لم يأت لمجرد القص.

ولا شك أن مصطلح العمران الذي جاء به العلواني وجعله مقصدا من مقاصد القرآن يتصل اتصالا وثيقا بمنهج العلواني في الدعوة والإصلاح، فهذا المنهج ينطلق من أن مشكلة المسلمين مشكلة حضارية مردها إلى إعراض المسلمين أو غفلتهم عن أسباب الحضارة والعمران التي أخذ بها الغرب فتقدم وتخلف المسلمون.

4 ـــ نتائج وآفاق:

– يأخذ مصطلح المقاصد معاني شتى ويلتبس بمفاهيم ومصطلحات أخرى بحسب السياق الذي يستعمل فيه، فقد يعني الأهداف التشريعية والتربوية للشريعة الإسلامية، والحِكَم والأسرار التشريعية، والمصالح (الكليات الخمس)، كما يستخدم للدلالة على المعاني العامة والمحاور الكبرى للقرآن الكريم أو النصوص عامة، ومن هنا وجب أن يكون الباحث على وعي بالفرق بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن.

– كثير من العلماء والباحثين لم تنضبط عندهم معالم الحدود بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، فجاء حديثهم عن مقاصد القرآن متعلقا بالحديث عن مقاصد الشريعة أو مشوبا بها، ولهذا اتسمت تعريفات المقاصد وتصنيفاتها بأمرين هما: تأثرها بمقاصد الشريعة، من حيث دورانها على مبدإ تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وتركيزها على المقصد العام للقرآن والشريعة (الهداية وتحقيق الصلاح)، وعدم التفاتها إلى المقاصد الخاصة التي تعني القضايا والمحاور التي دارت عليها سور القرآن الكريم.

---

(108) المرجع نفسه

وهناك بعض التصنيفات الأخرى لمقاصد القرآن لا يتسع مجال الدراسة لإيرادها، منها تصنيف سيد محمد نوح الذي جعلها عشرة هي التعريف بالله، والتعريف بالنفس، والتعريف بالرسالة، والتعريف بالمنهج، والتعريف بالقدوة، والتعريف بالكون، والتعريف بالعوالم الغيبية، والتعريف بعقبات الطريق، والتعريف بحقوق الأخوة، والتعريف بالعاقبة والمصير وما فيهما من ثواب وعقاب. وهناك تصنيف بديع الزمان النورسي الذي أجملها في التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة. وهناك تصنيف حنان اللحام التي ذهبت إلى أن مقاصد القرآن ثلاثة أنواع: مقاصد خلق الإنسان، ومقاصد خلق الكون، ومقاصد القدر. ونسأل الله أن يوفقنا إلى توسيع هذه الدراسة لتتناول هذه التصنيفات بحول الله.

– يمكننا تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنها القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته، تعريفا برسالة الإسلام، وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر.

– لمعرفة مقاصد القرآن أهمية كبيرة في التفسير؛ ذلك أن توجيه المعنى أو الترجيح بين الدلالات المختلفة، أو استنباط الأحكام والأبعاد المختلفة للنص يعتمد على الإلمام بالمقاصد العامة من قبل المفسر، وما المعاني والدلالات التي تواجه المفسر أو المستنبط إلا تفرعات عن أصول تُمثلها المقاصد، وقد أدرك كثير من العلماء هذه الحقيقة وألحوا على لزوم الإلمام بالمقاصد بالنسبة إلى المفسر.

– مما ظهر لنا من هذه الدراسة أن التصنيفات المختلفة لمقاصد القرآن تتأثر في كثير من الأحيان بخلفيات أصحابها الفكرية والعلمية، ومناهجهم في الإصلاح وأولوياتهم في ذلك.

– كان تفسير بعض السور التي وردت الأحاديث في فضلها، وكونها تعدل قدرا من القرآن مناسبة لدى بعض المفسرين للحديث عن مقاصد القرآن الكريم، وذلك بالتأمل في أغراض تلك السور ومقاصدها، والمقارنة بينها وبين مقاصد القرآن عامة، وأبرز هذه السور : الفاتحة، والزلزلة، والكافرون، والإخلاص.

ــ أجمل الرازي مقاصد القرآن التي تضمتها الفاتحة في فجعلها أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. ونلاحظ من هذا التقسيم لمقاصد القرآن أن الرازي جعلها دائرة على العقائد، و لم يذكر ميدان التشريع، مع أننا نلمس إشارة إلى هذا الجانب التشريعي في قوله تعالى:(اهدنا الصراط المستقيم)(الفاتحة: 5)؛ لأن الصراط المستقيم هو نهج يتحدد بعد الاعتقاد بالتزام الأوامر والنواهي، والآداب والأخلاق.

ــ مقاصد القرآن كما قررها السيوطي في تفسير الفاتحة هي: علم الأصول (معرفة الله وصفاته، والنبوات، والمعاد)، وعلم العبادات، وعلم السلوك، وعلم القصص، وهو تقسيم أكثر تفصيلا وأوضح معالم من تقسيم الرازي السابق الذي اقتصر فيه على ما يتعلق بالعقيدة (الإلهيات، والمعاد، والنبوات، والقدر)؛ فقد شمل تقسيم السيوطي العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والقصص، وهذه المقاصد هي أهم مقاصد القرآن الكريم، كما اتضح لنا من مختلف تقسيمات العلماء لها.

ــ ذكر الألوسي من مقاصد القرآن، التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد، وهو تقسيم مقبول على الرغم من عموميته، ولكنه لم يورد مقصدا هاما هو مقصد القصص.

ــ جاء أبو حامد الغزالي بتقسيم لمقاصد القرآن تقوم أركانه على التوحيد (تعريف المدعو إليه)، والمعاد أو الوعد والوعيد (تعريف الحال عند الوصول إليه)، والقصص (تعريف أحوال السالكين والناكبين)، وأحكام التشريع (تعريف عمارة منازل الطريق).

– ومما انفرد به الغزالي في تقسيمه هو جعله ما سماه (تعريف الصراط المستقيم) أو طريق القرب من الله مقصدا أساسيا مستقلا مع أننا يمكن أن ندرجه ضمن المقصد الأول المتعلق بتعريف المدعو إليه، كما ميز الغزالي بين نوعين من المقاصد: أساسية وثانوية، أو ما سماه مقاصد مهمة وأخرى متمة، وهذا الأمر ذو أهمية بالغة في تصنيف المقاصد، ولعله سبب كثير من الاختلاف بشأنها. وقد أدرج الغزالي مقاصد الشريعة التي يعبر عنها العلماء بالكليات الخمس ضمن المقصد

الأخير المتعلق بعمارة منازل الطريق، وهذا يؤكد كون مقاصد الشريعة تختلف عن مقاصد القرآن، فهي تنتمي إلى مقصد واحد من مقاصد القرآن الكريم.

ـــ عامة المقاصد التي أدرجها رشيد رضا في تصنيفه لمقاصد القرآن متعلقة بالأحكام التشريعية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا الأمر ناتج ـــ كما يبدو ـــ عن عدم فصله بين مصطلحي مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، وقد ضمّن المقصد الأول مقصدين أساسيين هما التوحيد والمعاد، و لم يرِدْ عنده ذكر لمقصد القصص على أهميته، كما أن بعض المقاصد التي ذكرها رشيد رضا مقاصد فرعية ثانوية، كمقصد تحرير الرق، وقضايا المرأة.

ـــ لا تعد المقاصد التي ذكرها الزرقاني، من المقاصد بالمفهوم الذي يعني القضايا والمحاور الكبرى للقرآن الكريم؛ إذ أنها تتعلق بالمقاصد العامة من إنزال القرآن أصلا، وهي أقرب إلى خصائص القرآن الكريم.

ـــ ذكر شلتوت ثلاثة مقاصد هي من أركان المقاصد القرآنية، فمقصد العقيدة يتضمن التوحيد والمعاد وما يتبعهما من الإيمان بالكتب والرسل، والأحكام هي مقصد أساسي من مقاصد القرآن، والأخلاق هي جانب مهم يمكن أن يشكل مقصدا خاصا، وقد تميز تصنيف شلتوت بجعل مقصد الأخلاق مستقلا، ولكنه لم يورد مقصد القصص على الرغم من أن هذا المقصد يشكل شطر القرآن.

- يلاحظ على تصنيف ابن عاشور للمقاصد أنه تضمن المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، فالمقصد الأول (الاعتقاد) يشير إلى مقصد التوحيد، والمقصد الثالث تضمن مقصد الأحكام بصفة عامة، والمقصد الخامس هو مقصد القصص، والمقصد السابع الذي سماه ابن عاشور المواعظ والإنذار، أو التحذير والتبشير هو مقصد الوعد والوعيد، وإذا اعتبرنا جانب الأخلاق مقصدا خاصا فقد تضمنه المقصد الثاني عند ابن عاشور، غير أن هناك ثلاثة مقاصد ذكرها وليست من المقاصد الأساسية، وهي: سياسة الأمة، والتعليم، والإعجاز، أما سياسة الأمة والتعليم فهما مندرجان ضمن المقاصد الأخرى، ومتضمنان فيها، وأما الإعجاز فهو مقصد يتعلق بخصائص القرآن.

- تصنيف الشيخ محمد الغزالي لمقاصد القرآن احتوى على التوحيد والقصص والمعاد والتشريع، وما يستدعي التوقف في تقسيمه هو أنه جعل دلالة الكون على الخالق مقصدا مستقلا، مع أنه يمكن أن يضم إلى المقصد الأول المتعلق بالله الواحد؛ إذ أن ما في الكون من آيات وآلاء دلائل على الخالق... كما أنه لم يفرد مقصد الأخلاق عن التشريع.

- التصنيف الذي اتبعه محمد الصالح الصديق يشوبه تداخل بين أبوابه؛ فقد ذكر التوحيد والعقائد منفصلين مع أنهما يشكلان مقصدا واحدا، وجعل التشريع والعبادات مقصدين مختلفين على الرغم من أن العبادات جزء من التشريع، كما أنه ذكر الإعجاز بين مقاصد القرآن، وهو من خصائصه، ومع ذلك تضمن تصنيف الصدّيق عامة مقاصد القرآن؛ التوحيد أو العقائد، والتشريع، والقصص، والأخلاق، أو ما سماه أصول المثل العليا، والمقصد الأساسي الوحيد الذي خلا منه تصنيف الصديق هو مقصد المعاد أو الوعد والوعيد، وهو مضمن في مقصد التوحيد أو العقائد.

ـــ في التقسيم الذي اعتمده الشيخ القرضاوي يبدو مصطلح المقاصد أقرب إلى مفهومه الأصولي الذي استخدمه علماء الأصول في حديثهم عن مقاصد الشريعة؛ ولكنه لم يسر على تقسيم الأصوليين للمقاصد، وباستثناء مقصد تصحيح

العقائد الذي يقابل مقصد التوحيد، فإن القرضاوي جاء بتصنيف خاص ركز فيه على بعض القضايا، كتقرير كرامة الإنسان، وتكوين الأسرة، وبناء الأمة، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون.

ـــ استخدم عبد الكريم حامدي مصطلح مقاصد القرآن ولكن بمفهوم مصطلح مقاصد الشريعة، وعلى الرغم من أنه حاول أن يماهي بين المصطلحين فإنه ركز في تصنيفه لمقاصد القرآن ودراسته لها على مقاصد التشريع القرآني، لا على محاور القرآن الكريم والقضايا الكبرى التي عالجها، أي أن دائرة المقاصد التي بنى عليها الحامدي دراسته منحصرة في دائرة مقصد واحد من مقاصد القرآن؛ هو مقصد التشريع.

ـــ توصل العلواني إلى تصنيف مجمل ولكنه تضمن مقاصد عامة؛ فمقصد التوحيد عنده يشمل المعاد، لأن المعاد يترتب على القول بالتوحيد، ومقصد التزكية الذي ذكره لا شك أنه يتضمن الأخلاق وطرفا من التشريع، أما مقصد العمران فيشمل كل أحكام الشريعة، ولكنه يوحي بأنه يمتد إلى كل ما يتبدعه الإنسان ويتهدى إليه من وسائل ونظم حياتية تحقق مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض في إطار العبودية لله سبحانه وتعالى.

ولا شك أن مصطلح العمران الذي جاء به العلواني وجعله مقصدا من مقاصد القرآن يتصل اتصالا وثيقا بمنهجه في الدعوة والإصلاح، فهذا المنهج ينطلق من أن مشكلة المسلمين مشكلة حضارية مردها إلى إعراض المسلمين عن أسباب الحضارة والعمران التي أخذ بها الغرب فتقدم وتخلف المسلمون لغفلتهم عنها.

– وإن أية دراسة لمقاصد القرآن ومعانيه ينبغي أن تنطلق من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم كما تبلورت ملامحها شيئا فشيئا من خلال جهود العلماء في استنباطها وتصنيفها والتعريف بها، وهذه المقاصد هي: **التوحيد، والمعاد(الوعد والوعيد)، والتشريع، والأخلاق، والقصص.**

ويمكن ـــ من خلال تتبعنا لتصنيفات العلماء ـــ أن نضع تراتبية للمقاصد تتوزع على خمسة مستويات:

المستوى الأول: ويشمل العقائد عند الرازي، وهي أصل المقاصد.

المستوى الثاني: ويشمل التوحيد والأحكام عند رشيد رضا، أوالعقائد والتشريعات عند القرضاوي.

المستوى الثالث: ويشمل التوحيد والأحكام الشرعية وأحوال المعاد عند الألوسي، أو العقيدة والأحكام والأخلاق عند شلتوت، أو التوحيد والتزكية والعمران عند طه جابر العلواني.

المستوى الرابع: ويشمل علم الأصول وعلم العبادات وعلم السلوك وعلم القصص عند أبي السيوطي، أو التوحيد والمعاد والقصص وأحكام التشريع عند أبي حامد الغزالي، أوالتوحيد والقصص والمعاد والتشريع عند محمد الغزالي، أو العقائد والتشريع والأخلاق والقصص عند محمد الصالح الصديق.

المستوى الخامس: ويشمل الاعتقاد والأحكام والقصص والمعاد والأخلاق عند ابن عاشور.

ويمكن أن نختصر هذه المستويات في الشكل الآتي:

م1 **العقائد**

م2 **التوحيد** **الأحكام**

م3 العقيدة الأحكام الأخلاق
التوحيد المعاد الأحكام الشرعية

م4 علم الأصول علم العبادات علم السلوك علم القصص
العقائد التشريع الأخلاق القصص
التوحيد المعاد أحكام التشريع القصص
التوحيد المعاد التشريع القصص

م5 الاعتقاد المعاد الأحكام الأخلاق القصص

ومعنى هذا أن هذه المقاصد يمكن أن تختصر في العقائد (وتضم التوحيد والمعاد)، والشرائع (وتضم الأخلاق والأحكام)، والقصص، وإذا كان مقصد العقائد أو التوحيد ثابتا مشتركا بين جميع التصنيفات، ويليه مقصد الأحكام أو التشريع، فإن جانب القصص ليس مقصودا لذاته، ولكنه مقصد يعزز المقاصد الأخرى، سواء ما تعلق منها بالعقائد أو بالتشريعات ولهذا السبب خلت منه بعض التصنيفات.

والله تعالى أعلم، وهو الهادي إلى سواء السبيل

مراجع الدراسة:

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي،ط1، بيروت، 1422هـ/ 2001م
2. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1423هـ/ 2003م
3. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت)
4. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982م
5. عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1429هـ، 2008م
6. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1415هـ، 1994
7. نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ، مكتبة العبيكان، ط1، 1421هـ، 2001م
8. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ، 1992م
9. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار ابن عفان، ط1، الخبر، السعودية، 1417هـ، 1997م
10. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، حوارات منهجية في قضايا نقد متن الحديث الشريف، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

11. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ، دار الفكر ،ط1، بيروت، 1401هـ/ 1981م

12. جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ، 2004م

13. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (دت)

14. علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1411هـ/ 1991م

15. محمود شلتوت ، إلى القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ، 1983م

16. أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، 1411هـ، 1990م

17. رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر، 1408هـ/ 1988م

18. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1422هـ، 2001م

19. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دت)

20. محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1403هـ/1982م

21. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، دار الشروق، ط3،القاهرة،2000م

22. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1427هـ/ 2006م

23. حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، 1411هـ/ 1991م

24. الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1418هـ/ 1997م

25. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، (دت)

26. عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار البيان العربي، ط1، القاهرة، 1421هـ/ 2002م

27. الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م

28. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط27، القاهرة، 1419هـ/ 1998م